

الأنثروبولوجيا

التعريف، الهدف، الاتجاهات النظرية

د. أحمد ماجد

أولاً: تعريف الأنثروبولوجيا

مصطلح الأنثروبولوجيا Anthropology إنكليزي النشأة، وقد كان فرنسوا برون (1775-1810) أول من استخدمه، وهو مشتق من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين: أنثروبوس Anthropos، ومعناه "الإنسان" و "لوجوس Locos"، ومعناه "علم". وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أي العلم الذي درس الإنسان: "دراسة طبيعية واجتماعية وحضارية"¹؛ أي أن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنما تدرسه بوصفه كائنًا اجتماعيًا بطبعه، يحيا في مجتمع معيّن له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين. بمعنى آخر الأنثروبولوجيا، العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة.. وتعرّف الأنثروبولوجيا أيضًا بأنها علم (الإناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يميّز عنها جميعًا². ويرى بعضهم إن الأنثروبولوجيا هي علم الإنسياء، فهي تدرس الإنسان دراسات تجريدية مختلفة: تدرسه في المستحاثات بما هو بقايا متحجرة، مثل إنسان جاوة، وإنسان بكين،... وتدرسه عرقيًا من حيث مقاييس جمجمته، وارتفاع قامته، ولون بشرته،... وتدرسه من حيث هو كائن اجتماعي بدائي، فتتطرق إلى أنظمتها، كالأسرة والزواج والنسب والتقاليد والاستتباع والطوطمية والتابو والعقائد والطبقات،... وتدرسه من حيث هو كائن ثقافي، له نفسية خاصة، يتأثر بالبيئة ويؤثر فيها، وينتهي إلى إقامة ثقافة معينة³.

من هنا نستطيع القول: "الأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرايبية ودينية وقانونية، وما إليها.. وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل:

¹ - را: شاكر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981، ص 57.

² - الجبائي، علي، الأنثروبولوجيا- علم الإناسة، جامعة دمشق، 1997، ص 9.

³ - شيخ الأرض، تيسير، خطوط لأنثروبولوجيا فلسفية، مجلة الفكر العربي، بيروت، العددان 37-39، ص 139.

التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية⁴.

ثانيًا: طبيعة الأنثروبولوجيا

لا تتفق المجموعات الثقافية في تعريفها للأنثروبولوجيا، فالثقافة الأنكلوسكسونية، تطلق هذا المصطلح على: "علم الإنسان وأعماله" وهو ما يرادف "دراسة الخصائص الجسمية للإنسان" حتى داخل النطاق الثقافي الواحد نلاحظ اختلافًا جوهريًا ففي إنكلترا مثلاً، يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا، على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية، مع ميل خاص للتأكيد على دراسة الشعوب البدائية. أما في أمريكا، فيرى العلماء أن الأنثروبولوجيا، هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أن علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح، دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية، أي "العضوية"⁵.

أيًا تكن الخلافات، يبقى لهذا العلم طبيعته المميزة، فهو يركّز على الإنسان، ويحاول فهم أنواع الظواهر المختلفة التي تؤثر فيه.. ويحاول فهم طبيعته وسلوكه ضمن بيئته الخاصة. ولعلّ هذا هو الذي دفعهم إلى تقسيم هذا العلم إلى قسمين أساسيين كبيرين: يبحث الأول في الإنسان، ويعرف بالأنثروبولوجيا الطبيعية، في حين يبحث الثاني في أعمال الإنسان، ويعرف بالأنثروبولوجيا الثقافية/الحضارية⁶. وتأسيسًا على ما تقدّم، فإن الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان، ويدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحيّة الأخرى من جهة، وأوجه الشبه والاختلاف بين المجموعات البشرية وليس بين الأفراد.

ثالثًا: أهداف دراسة الأنثروبولوجيا

انطلاقًا من النتائج السابقة يمكننا أن نحدّد هدف هذا العلم، وحتى لا نتوسع سنكتفي بالأهداف التي وضعها رالف لينتون، وهي:

- 1- وصف الحياة اليومية للمجموعة البشرية الخاضعة للدراسة، وتسجيل كل ما تقوم فيه من سلوكيات في الحياة اليومية.
- 2- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان: (بدائي - زراعي - صناعي - معرني - تكنولوجي).
- 3- تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقة علمية... وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيّر المختلفة.

4 - الشماس، عيسى، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 14.

5 - كلاهون، كلايد، الإنسان في المرأة، ترجمة: شاكر سليم، بغداد، 1964، ص 209.

6 - لينتون، رالف، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك ناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1967، صص 15-16.

4- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية/الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصور بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة⁷.

وهذه الأهداف التي رسمها لينتون توضح المقصد الحقيقي لنشوء الأنثروبولوجيا، هو الوصول على دراسة المجتمعات الإنسانية وإيجاد نقاط التوافق والاختلاف بعيداً عن التعصب العرقي، الذي أخذت تظهر معالمه مع انتشار النظريات التي حاولت الإغلاء من قيمة العرق.

رابعاً: نشأة الأنثروبولوجيا

أ- الأنثروبولوجيا في المجتمعات القديمة

على الرغم من كون الأنثروبولوجيا من العلوم الحديثة، ولكن التاريخ الإنساني لم يتوقف في أي مرحلة من مراحل تاريخه من محاولة معرفة الآخر ومقارنته من أجل فهمه لأسباب قد تكون ثقافية أو سياسية أو اقتصادية، وتدل الصور المنقوشة في معبد الدير البحري على الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام 1493 قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حالياً) بهدف التبادل التجاري. ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام أفريقيا. وتأكيداً لإقامة علاقات معهم فيما بعد⁸.

ويعدّ عمل المؤرخ الإغريقي هيرودوتوس Herodotus، فهو أول من قام بجمع معلومات وصفية دقيقة، تتناول الحياة الثقافية والدينية والسلالية واللغوية عن حوالي خمسين شعباً⁹. ولم يكتف بذلك، بل تناول الشعوب الأخرى، حيث تحدث عن المصريين، ووصف تقاليدهم الدينية، وطقوسهم الشعائرية¹⁰، وعمل هيرودوتوس على المقارنة بين بعض العادات الإغريقية والليبية، فيقول: "يبدو أن ثوب أثينا ودرعها وتمثيلها، نقلها الإغريق عن النساء الليبيات. غير أن لباس الليبيات جلدي، وأن عذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين، بل هي مصنوعة من سيور جلد الحيوان. وأما ما عدا ذلك، فإن الثوب والدرع في الحالتين سواء.. ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة"¹¹.

وبعد هيرودوتس، لا يعثر على آثار فكرية مميزة تساهم في بناء فكر أنثروبولوجي باستثناء بعض الملاحظات الأولية التي وضعها أرسطو (348-322 ق.م)، وسجل فيها ملاحظاته وتأملاته في التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيوان.. كما ينسب إليه أيضاً، توجيه الفكر نحو وصف نشأة الحكومات وتحليل أشكالها وأفضلها، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والإنسانية¹².

7 - م، ص 15.

8 - Mauvit, J. A Manuel d'athnographie, payot, 1960, Paris, p. 18.

9 - Darnell, Ragna and editor, Reading in the History of anthropology, University of Illinois, 1978, p. 13.

10 - را: خفاجة، محمد صقر، هيرودت يتحدث عن مصر، دار العلم، 1966، القاهرة.

11 - خشيم، علي فهمي، نصوص ليبية، مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1967، ص 87.

12 - فهيم، حسين، قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ الإنسان، سلسلة عالم المعرفة 198، الكويت، 1986، ص 46.

وعلى الرغم من ميل الحضارة الرومانية نحو الملموس والعياني، ولكننا نلاحظ بعض اللمحات الأثروبولوجية في أشار "كاروس لوكرتيوس" التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة. فقد تناول موضوعات عدة عرضها في ستة أبواب رئيسة، ضمّنها أفكاره ونظرياته عن المادة وحركة الأجرام السماوية وشكلها، وتكوين العالم.. وخصّص الباب السادس لعرض فكري: التطور والتقدم، حيث تحدّث عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي، ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى¹³. وقد رأى بعض الأثروبولوجيين، أن "لوكرتيوس" استطاع أن يتصوّر مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية، ثم حديدية.. وهذا الأمر يتطابق مع فكر لويس مورجان (L. Morgan) (1818-1881) أحد أعلام الأثروبولوجيا في القرن التاسع عشر. وذلك من حيث رؤية التقدم والانتقال من مرحلة إلى أخرى، في إطار حدوث طفرات مادية، وإن كان مردّها في النهاية إلى عمليات وابتكارات عقلية¹⁴.

ب- الأثروبولوجيا في العصور الوسطى

لم تعرف القرون الوسطى الأوروبية نزعات إنسانية جادة، تحاول دراسة الذات والآخر بشكل موضوعي، فهي مالت إلى المتخيل مثال ذلك، ما قام به الأسقف أسيدور (Isidore) (560-636)، حيث أعدّ في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتسم بالسطحية والتحيّز. ومما ذكره، أنّ قرب الشعوب من أوروبا أو بعدها عنها، يحدّد درجة تقدّمها، فكلما كانت المسافة بعيدة، كان الانحطاط والتهور الحضاري مؤكّداً لتلك الشعوب. ووصف الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنهم من سلالات غريبة الخلق، حيث تبدو وجوههم بلا أنوف. وقد ظلّت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر، حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدّها الفرنسي "باتولو ماكوس Batholo Macus"، والتي حظيت بشعبية كبيرة، على الرغم من أنّها لم تختلف كثيراً عن سابقتها في الاعتماد على الخيال¹⁵.

وفي المقابل، عرفت الحضارة العربية حركة علمية عميقة، أثرت نتاجات فكرية مميزة، منها أعمال عبد الله البكري الجغرافي العربي الذي ولد في الأندلس. وكتب مؤلفات متعددة أهمها "معجم ما استعجم" و "المسالك والممالك"، قام خلالها بوصف البلاد التي عرفها المسلمون في القرن الحادي عشر. وكتب عن ممالك أفريقيا الشرقية بالإضافة إلى بلاد السودان وإمبراطورية غانا. كما تلاحظ أعمال محمد بن أحمد البيروني (1048-973م)، وهو عالم عربي إسلامي، برع في كثير من العلوم، فكان مؤرخاً، ولغوياً، وأديباً، وعالم رياضيات، وطبيعة، وطب، وفلسفة، وفلك، وكيمياء، وتصوف، وأديان، وهذا المفكّر أنجز ثلاثة كتب عن: تاريخ الهند، الآثار الباقية من القرون الخالية، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مردولة، فكان بمؤلفاته من العلماء الرواد في الأثنوغرافيا.

¹³ - م.ن، ص 47.

¹⁴ - Darnell, p. 17.

¹⁵ - فهيم، م.س، ص 52.

وصف في كتابه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية. واهتم أيضًا بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثلاتها عند اليونان والعرب والفرس. وأبرز البيروني في هذه الكتب، حقيقة أن الدين يؤدي الدور الرئيس في تكبيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيم والمعتقدات¹⁶.

كما كان لرحلات ابن بطوطة وكتابه خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم¹⁷، وهذا الأمر ينطبق على رحلات ابن جبير الذي وصف عادات وتقاليد الشعوب التي زارها، كما ينطبق على رحلة بان فضلان¹⁸.

أما مقدّمة كتاب ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" فقد سجلت الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا، ولا سيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كل ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة. وقد شكّلت موضوعات هذه المقدّمة - فيما بعد - اهتمامًا رئيسيًا في الدراسات الأنثروبولوجية. ومن أهم الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، هي تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية. فقد ردّ ابن خلدون - استنادًا إلى تلك الدعامة - اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسية وصفاتهم الجسمية والخلقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضًا عاملاً هامًا في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية¹⁹. كما تناول ابن خلدون في مقدمته أيضًا، مسألة قيام الدول وتطورها وأحوالها، وبلور نظرية (دورة العمران) بين البداوة والحضارة على أساس المماثلة بين حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي. لقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمر بها، فكان بذلك، أسبق من علماء الاجتماع في أوروبا. ولذلك، يرى بعض الكتاب والمؤرخين، أن ابن خلدون يعتبر المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، بينما يرى بعضهم الآخر، ولا سيما علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون، في مقدمة ابن خلدون بعضًا من موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها. وفي أمريكا، أشار جون هونجيمان، أيضًا في كتابه "تاريخ الفكر الأنثروبولوجي" إلى أن ابن خلدون تناول بعض الأفكار ذات الصلة بنظرية مارفين هاريس عن "المادية الثقافية - Cultural Materialism" ونجد أن هاريس ذاته، يذكر أن ابن خلدون ومن قبله الإدريسي، قدّما أفكارًا ومواد ساعدت في بلورة نظرية الحتمية الجغرافية، التي سادت إبان القرن الثامن عشر²⁰.

واستنادًا إلى ما تقدّم يمكن القول: إن الفلاسفة والمفكرين العرب أسهموا بفاعلية - خلال العصور الوسطى - في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية، ولا سيما التنوع الثقافي (الحضاري) بين الشعوب، سواء بدراسة خصائص ثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة

16 - م.ن، ص 54.

17 - را: ابن بطوطة، أبو عبد الله، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، 1968، بيروت.

18 - را: ابن فضلان، رحلات ابن فضلان، وزارة الثقافة السورية، دمشق.

19 - ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، 1966، القاهرة.

20 - Anderson, John Conjuring with ibn Khaldon. From an Anthropological point of view, Leiden 1984, p. 112.

أخرى. ولكن على الرغم من اعتبارها مصادر للمادة الأثنوجرافية التي درست (أسلوب الحياة في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة) ولا سيما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإن الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر كعلم جديد معترف به، لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات، ولا بغيرها من الدراسات (اليونانية والرومانية) القديمة.

ج - الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية

مع تكوّن أوروبا الاستعمارية، وخروجها من عزلتها، وانفتاحها على العوالم القديمة والجديدة، وظهور نزعات فلسفية متعددة معادية لفلسفة القرون الوسطى، لا سيما ذلك البعد الإنساني، بدأت تظهر بواكير الدراسات التي تتعلق بالشعوب الأخرى، وكلما كانت تتوسّع أعمال الاستكشاف للأسباب التجارية والاستعمارية، كانت هذه الدراسات تتعمّق، لعلّ أهم رحلة استكشافية أثرت في علم الأنثروبولوجيا، هي تلك التي قام بها كريستوف كولومبوس (1492-1502)، حيث زحرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكّان العالم الجديد، وبالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة²¹.

وأخذت تكرر السبّحة بعد ذلك، فظهرت أعمال لافيتو والرحالة والمبشّرين من أمثال بارتولوميو دي لاس كزاس (1502) والديلو ماسي النمساوي سيجموند هربرشتاين الذي كتب عنالروس، وبيتر كالب الذي وضع مؤلفاً حول شعب الهمنتوت في جنوب أفريقيا²²، وقد تكون محاولة الرحّالة الأسباني (جوزيه أكوستا J. Acosta) في القرن السادس عشر، لربط ملاحظاته الشخصية عن السكّان الأصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية، المحاولة الأولى لتدوين المادة الأثنوجرافية والتنظير بشأنها. فقد افترض أكوستا أن الهنود الحمر كانوا قد نزحوا أصلاً من آسيا إلى أمريكا، وبذلك فسّر اختلاف حضاراتهم عن تلك التي كانت سائدة في أوروبا حينذاك. وقدّم أكوستا أيضاً افتراضاً آخر حول تطور الحضارة الإنسانية عبر مراحل معيّنة، معتمداً في تصنيفه على أساس معرفة الشعوب القراءة والكتابة.

وأخذت تبلور النظرة الأنثروبولوجية بشكل تدريجي، ففي إيطاليا قدّم جيامباتستا فيكو (1668-1744) نظريته حول الدورة التاريخية، قام بتقسيمها على الشكل التالي: المرحلة الإلهية، والمرحلة البطولية، والمرحلة الإنسانية، وهذه المراحل تتطابق مع مراحل نمو الإنسان، فالأولى توازي الطفولة، والثانية الشباب، والثالثة النضج، والدولة بمكوّناتها الحديثة لا تنشأ إلا في المرحلة الثانية عندما تسيطر الأرستقراطية. ويعبّر فيكو أن المرحلة الإنسانية سرعان ما تنتهي لتعود الحياة إلى مرحلتها الطفولية.

²¹ - Oswalt, Wendell, other people, other customs, holt Rinehart and Winston inc 1972. Boorstin, Daniel. J, the discoveries a history of man's search to know his world and himself. Vintage books edition, 1985.

²² - را: أسامة عبد الرحمن نور، وأبو بكر يوسف شلابي، الأنثروبولوجيا النظرية، المنشأة الليبية، طرابلس الغرب.

وفي فرنسا ظهر ميشيل دي مونتاني (M. De. Montaigne) الذي عاش ما بين (1532-1592) وأجرى مقابلات مع مجموعات من السكّان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوروبا. وبعد أن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية: "إنه لكي يفهم العالم فهمًا جيدًا، لا بدّ من دراسة التنوّع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوع" ويكون بذلك قد طرح فكرة النسبية الأخلاقية. ومع القرن الثامن عشر، بلور جان جاك روسو كتابه "العقد الاجتماعي"، هذا الكتاب الذي اعتمد المقارنة بين الشعوب وفاضل بينها، وكان بذلك يضع البواكير الأولى للفكر الأنثروبولوجي. وظهر مونتسكيو وكتابه "روح الشرائع"، هذا الكتاب الذي أوضح الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة. كلما كان الناس أكثر "تمدّنًا" كلما ازداد استنادهم على القانون في نظامهم الاجتماعي على حساب الطباع والآداب. ووصل إلى القول: إن الشعوب الحرة هي التي يحكمها القانون، في حين أن البلدان التي تسيطر فيها الطباع والآداب تكون عرضة للاستبداد والطغيان²³.

وفي ألمانيا فقد تبلور الفكر في عصر التنوير، عن التفوق العنصري والنزعة القومية المتطرفة، وظهر ذلك واضحًا في كتابات كل من جورج هيغل (1770-1831) وجوهان فخته (1762-1814)، حيث جعل الشعب الألماني، الشعب الأمثل والأنقى بين شعوب العالم. أما كتابات جوهان هيردر (1744-1803) فجاءت لتعزز فكرة التمايز بين السلالات البشرية من ناحية التركيب الجسمي، والتفاوت فيما بينها بمدى التأثير بمظاهر المدنية، وفي تمثيلها لمقومات الحضارة. وعلى هذا الأساس، يذهب هيردر إلى أن ثمة سلالات بشرية خلقت للرقى، وسلالات أخرى قضي عليها بالتأخر والانحطاط. لكن هذا الاتجاه العنصري في الدراسات الأنثروبولوجية، واجه انتقادات كبيرة في بداية القرن العشرين، حيث برزت فكرة أنه لا يجوز أن تتخذ اللغة كأساس أو دليل على الانتماء إلى أصل سلالي واحد، وأن العلاقة بين الجنس البشري واللغة، لا يجوز أن تكون أساسًا لتقسيم الشعوب الإنسانية إلى سلالات متميزة. وقد نقض ذلك ودحضه، فيما بعد، الفكر الأنثروبولوجي القائم على المشاهدة الواقعية، والدراسة الميدانية المقارنة لمجتمعات الشعوب الأخرى²⁴.

²³ - را: أسامة عبد الرحمن نور، وأبو بكر يوسف شلابي، الأنثروبولوجيا النظرية، المنشأة الليبية، طرابلس الغرب.
²⁴ - الشماس، عيسى، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.